مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11 عدد: 1 السنة:2022
ص: 1022 - 1035 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

مقولات الاستعارة من الأنموذج الألسني البنوي إلى المجال التصوري العرفاني.

The Metaphor Sayings from the Linguistic Structural Sample to the Pictorial Cognitive Field

صام عبد القادر *

Sam Abdelkader

مخبر الدراسات المتعددة التخصصات في تعليم وتعلم اللغات.

جامعة الشهيد أحمد زبانة غليزان.

Ahmed Zabana Relizane University, Algeria.

abdelkader.sam@cu-relizane.dz

تاريخ الإرسال: 2020/11/08	تاريخ القبول:2021/06/27	تاريخ النشر : 2022/03/02

ملخص البحث

يعد البحث في مجال الاستعارة و مقولاتها من البحوث التي لقيت الاهتمام الكبير لدى الباحثين، ومنذ عهود طويلة، بدءا من التفكير البلاغي الغربي القديم مع أرسطو، وصولًا إلى الدرس الألسني الحديث والمعاصر، حيث ظهرت عدة مقاربات ألسنية للاستعارة حاولت أن تخرج عن إطار البلاغة الغربية التقليدية كالتيار الألسني البنوي مع رومان ياكبسون، وجان كوهن، و المقاربة الألسنية التداولية الحجاجية مع شايم بيرلمان، والنظرية الألسنية العرفانية مع جورج لايكوف ومارك جونسون.

وبناء على ما سبق سنحاول الوقوف على اهم المحطات التحولية التي عرفتها الاستعارة في ظل المقاربات الألسنية (البنيوية، التداولية، العرفانية).

الكلمات المفتاحية:استعارة، بلاغة، مقاربات ألسنية،بنيوية، تداولية، عرفانية.

Abstract :

Research, in the field of metaphor and its sayings, is one of the researchers' interesting topics since a long time starting from the Western ancient rhetorical thinking with Aristotle, until the modern contemporary linguistic lesson. Several linguistic approaches of metaphor have emerged, and they've attempted being out of the Western traditional rhetorical framework like the linguistic structural trend with Roman Jacobson and Jean Cohen, the linguistic pragmatic argumentative approach with Shaim Birlman, and the cognitive linguistic approach with George Laikove and Mark Johnson.

* صام عبد القادر، abdelkader.sam@cu-relizane.dz

According to what's mentioned above, we're going to try focusing on the most important turning points witnessed by metaphor in the light of the linguistic structural, pragmatic, and cognitive approaches.
Key words: metaphor, rhetoric, linguistic approaches, structuralism, pragmatics, cognitivism.

توطئة:

إن المتأمل في الدراسات القديمة والحديثة، يجد أن الاستعارة قد حظيت باهتمام بالغ الأهمية خاصة في الفترة الأخيرة، حيث أصبحت من الموضوعات التي تستهدف المؤلفين وفي مختلف المجالات (الأدب، البلاغة، علم النفس، علم الاجتماع، الفلسفة، الفنون التشكيلية...)، وقد احتدمت حولها نقاشاتطويلة كانت بدايتها مع الفكر البلاغي الغربي القديم عند أرسطو حتى وقتنا الحالي، وانتابها أثناء هذا المسار عدة تحولات وصلت في النهاية إلى الأنموذج الألسني العرفاني، ولعل هذا مرده إلى أن الاستعارة لم يعد ينظر إليها باعتبارها عنصر جمالي في النص الأدبي بل هي جزء من البنية التصورية الذهنية للإنسان، إذ بها حاول أن يدرك ما حوله في العالم الخارجي ويتفاعل معه، بالإضافة إلى تجاوز تلك النظرة المتعالية للبلاغة التي انساقت نحو كل ما هو خارجي في النص الأدبي (تاريخ، فلسفة، اجتماع...) خاصة مع المذهب الرومانسي الذي أغرق في الذاتية، مع إهمال كل ماهو داخلي نسقي في النص.

وتماشيا مع هذا، ظهرت عدة محاولات ومقاربات ألسنية تهتم بمجال الاستعارة لتشمل كل خصائصها الداخلية تركيبية ودلالية...وتكونت بذلك عدة نظريات حمل لواءها العديد من الألسنيين منهم: "**رومان ياكبسون**"، "**جان كوهن**"، "**شايم بيرلمان**"، "**جورج لايكوف**" و"**مارك جونسون**".

1 ـ الاستعارة في الفكر البلاغي الغربي القديم:

إن الحديث عن الاستعارة في التفكير البلاغي الغربي القديم يستدعي منا الوقوف عند "**أرسطو**"، إذ يعد أول من حددها في الفكر الفلسفي من خلال كتابيه فن الشعر والخطابة، وهي عنده تشمل بعدين مختلفين (إقناعي وجمالي)، إذ البعد الأول مجاله البلاغة من خلال الخطابة، والثاني مجاله البلاغة في الشعر والتي تهدف إلى محاكاة الأفعال الإنسانية النبيلة في الشعر التراجيدي[1].

وقد حدد أرسطو مفهوم الاستعارة بقوله: إنها« إعطاء اسم يدل على شيء إلى شيء آخر، وذلك عن طريق التحويل: إما من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو عن طريق

القياس»[2]، فالاستعارة من خلال هذا التعريف تخص الاسم فقط دون أن تتعدى الجملة والخطاب، وهي تقوم على عنصر التحويل والاستبدال ويمكن أن نستخلص لها أربع أنماط وأنواع هي:[3]

ـ من الجنس إلى النوع: وقد مثل أرسطو لهذا النمط بقوله:« هنا تقف سفينتي، فالإرساء في الميناء هو ضرب معين من شيء، وهو الوقوف».

ـ من النوع إلى الجنس: ومثاله قول أرسطو:« لاريب أن أوديسيوس قد قام بعمل عشرة آلاف عمل نبيل، فإن عشرة آلاف جنس من عدد ضخم، وقد استعمل هنا ليدل على عدد ضخم، بوجه عام».

ـ من النوع إلى النوع: واستشهد لذلك بقوله:« فليستل حياته بسيف من البرنز، وليقطعه بالسيف البرنزي الصارم، فهنا استعملت الكلمتان يستل ويقطع متبادلتين وكلتاهما نوع لمعنى الانتزاع».

ـ تحويل المعنى عن طريق القياس:« وذلك عندما تكون هناك أربعة حدود، بينها ترابط: علاقة الحد الثاني(ب) بالأول(أ) كعلاقة الرابع(د) بالثالث(ج)، فإنه يمكننا أن نستعمل الرابع(د) بدلا من الثاني(ب)، أو الثاني(ب) بدلا من الرابع(د)...ومثال ذلك: العشية (ب) بالنسبة للنهار (أ) هي كالشيخوخة (د) بالنسبة للحياة أو العمر (ج)، وعلى هذا يمكن أن تسمى العشية (ب) بشيخوخة النهار (د، أ)، وتسمى الشيخوخة (د) عشية الحياة (ب، ج)».

ومن هنا، فإن الاستعارة عند أرسطو قد كان قوامها وأساسها النقل والتغيير، كما أنها تقع ضمن نظرية الأجناس والأنواع، وهي تعنبنقل كلمة من موضعها الأصلي إلى موضع مغاير (من فضاء إلى فضاء آخر)، إذ في الأمثلة السابقة الذكر ذكر الأصل(الجنس) وهو الوقوف، وقصد به الفرع الذي يعد نوعا وهو الرسو، وذكر عشرة آلاف (الجزء) وقصدبه الأصل (العدد الضخم الدال على الكثرة).

وعلى هذا الأساس، ووفقا لهذه الأنماط والتفريعات التي حددها أرسطو، يمكننا القول بأن الاستعارة آلية من آليات الخطاب ولها أهداف متعددة، ولهذا تم تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي كالآتي:[4]

ـــ الاستعارة الحجاجية: وهدفها التأثير في المتلقي والسامع وإقناعه لتغير موقفه، وتستعمل في المحاكم والمجالات السياسية المختلفة.

ـــ الاستعارة الجمهورية:(الاستشارية) وتهدف إلى الإبلاغ والإخبار.

ـــ الاستعارة الشعرية: وتهدف إلى الإمتاع لأنها تقوم على الجمالية.

وبناء على هذا التحديد، فإن هدف الاستعارة في الغالب التأثير في الآخرين، «وهذا التأثير نوعان، تأثير جمالي وجداني، يستهدف الإثارة الجمالية، وتأثير إقناعي طابعه عقلي وغايته الإقناع»[5]، ولعل ما يثبت

وظيفتها عند أرسطو أيضا بأن اشترط «أن تكون جميلة الوقع على الأذن، جميلة للفهم، وللعين ولأي حس آخر»[6].

كل هذه الطروحات السابقة، تجعل للاستعارة وظيفة تزينية جمالية، قوامها التأثير في نفس السامع وإقناعه وهو الجانب الذي ركز عليه أرسطو في نظريته، إلا أنه أهمل جوانب ذات أهمية، ومنه واجهت البلاغة الغربية القديمة العديد من الانتقادات رغم أنها دامت قرونا عديدة، خاصة مع انتشار الفكر الألسني البنوي.

2ـ مقولات الاستعارة في ظل المقاربة الألسنية البنوية:

2ـ1ـ مقاربة رومان ياكبسون:

يستدعي الحديث عن مقاربة الاستعارة لدى **رومان ياكبسون**الوقوف على أهم مبدئين نادت بهما اللسانيات البنوية وقام عليهما الفكر الألسني البنوي الحديث وهما: المحور التأليفي والمحورالاستبدالي، بوصفها الأساس في إنتاج اللغة لدى المتكلم، فالمحور التأليفي يقوم على مجموعة من العلاقات الأفقية القائمة على صفة الخطية بين وحدات اللغة ومنها علاقة أصوات الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وتزيد كل وحدة معنى معين على الكل، وتتقابل مع بقية السلسلة الكلامية[7]، أي أن أساس هذا المحور التتابع الخطي بين الوحدات اللغوية، أما المحور الاستبدالي فإنه مجموع «العلاقات الاستبدالية بين العناصر اللغوية التي يمكن أ ن تحل محل بعض البعض في سياق واحد»[8]، وعلى هذا الأساس قامت نظرية **ياكبسون** حول القول الاستعاري، وغلب فيها الرؤية البنوية النسقية.

ضمن هذا المؤدى، فقد عد **ياكبسون** الاستعارة «نتاج عملية استبدال وحدة دلالية بأخرى تشترك معها في سمات دلالية، وتختلف معها في سمات أخرى، ترتبط بالمحور الاستبدالي»[9]،و أساس هذا الرأي عنده الحديث عن الحبسة، إذ يتم في الاستعارة إسقاط علاقات اختيارية واستبدالية على المحور اللفظي وذلك انطلاقا من مبدإ المشابهة، فـ « فكل شكل من أشكال الاضطراب الناتج عن الحبسة يقوم على بعض الخلل الذي يكون على درجات متفاوتة من الخطورة، ويصيب إما المقدرة على التنسيق والربط، ويطرأ في الحالة الأولى تلف يصيب عمليات ما وراء اللغة، في حين تصيب الحالة الثانية مقدرة المحافظة على نظام الوحدات اللغوية، وتكون علاقة التماثل مفقودة في النمط الأول في حين تفقد علاقة التجاور في النمط الثاني. ويستحيل وجود الاستعارة في اضطراب التماثل»[10].

وبناء على هذا المرتكز والتصور ننتهي إلى القول بأن الاستعارة عند **رومان ياكبسون** تنهض على أساس إصدار الكلام، وذلك انطلاقا من مبدإالتماثل، ولكن باضطرابه لا يمكن حدوث كلام استعاري ولا وجود لاستعارة مطلقا.

وينبغي لنا الإشارة أيضا إلى أن **رومان ياكبسون** في حديثه عن الاستعارة قد حاول التفريق بينها وبين المجاز المرسل،فالاستعارة عنده تعتمد على مبدإ التماثل أثناء إنتاج الكلام، بينما المجاز المرسل يعمل وفق مبدإ االمجاورة، إلا أن «هاتين العمليتين تعملان بشكل دائم في سلوك الكلام الطبيعي، ولكن الملاحظة الدقيقة تدل على أن إحديهما تأخذ الغلبة على الأخرى تحت تأثير النماذج الثقافية، والشخصية، والأسلوب»[11]، ولعل هذا التفريق والتمييز بينهما قد شمل فني الأدب شعرا ونثرا، إذ يرى **ياكبسون** أن النثر لا يهتم باللغة، وبالتالي لا يلجأ إلى استخدام الصور البلاغية والجمالية إذ غايته الإبلاغ وإفهام الآخرين، مما يستدعي هيمنة المجاز المرسل عليه لأنه يعتمد اللغة التقريرية المباشرة، في حين أن الشعر عكس ذلك إذ تغلب عليه الصور الاستعارية، باعتبار أن لغته ذاتية انفعالية يعبر فيها الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره[12].

وعليه فإن مقاربة ياكبسون للاستعارة كانت مقاربة ألسنية بنوية نسقية، قائمة على أساس الاستبدال، وبالتالي لم تخرج عن إطار الرؤية الأرسطية القديمة، كما أنها آلية يستخدمها المتكلم، وتهيمن على الخطاب الشعري أكثر من النثر وهذا ما يميزها عن المجاز المرسل.

2ـ2 مقاربة جان كوهن:(الشعرية البنوية)

اعتد **جان كوهن** بالاستعارة على أساس أنها تحدث الانزياح، إذ إنها تسيطر على جميع الصور، ولعل ما يؤكد ذلك قوله: إن « المنبع الأساسي لكل شعر هو مجاز المجازات، هو الاستعارة»[13]، وبهذافإن نظرية الانزياح عدت « مركز عمل كوهن، إذ الشعر عنده انزياح عن معيار هو قانون اللغة»[14] وخرق قواعدها، ومن هنا تظهر الصورة الشعرية منها الاستعارة التي «تتجاوز حدود الانزياح إلى نفيه، إلى نفي النفي فتستكمل بذلك العملية الشعرية منطقها الجدلي، وتحقق العتبة الشعرية المؤدية إلى عالم جديد هو دلالة الإيحاء»[15].

وعليه، فإن الاستعارة عند **جان كوهن** عمل انزياحي فيه خروج عن منطق اللغة وبعض مبادئها وقواعدها، ولعل هذا الانزياح يكون «استبداليا، أي يقوم بتنحية المدلول الأول والصعود إلى مدلول ثان، فيغير بذلك اللغة»[16]، أي تغير من المعنى القاموسي الأصلي إلى المفهوم الايحائي الاستعاري المجازي.

وقد تحدث **كوهن** عن الاستعارة واعتبر أن لها مفهومين: المعنى الخاص، وتكون فيه العلاقة بين المدلولين الأول والثاني هي المشابهة، والمعنى العام ويشمل كل أشكال التغيير الدلالي المختلفة، دون النظر إلى طبيعة العلاقة الجامعة بين طرفي الاستعارة[17]، ولعل هذا التعريف يثبته لنا جان كوهن في كتابه بنية اللغة الشعرية إذ يرى أن « هناك استعمال شائع للاستعارة بحيث تشير إلى جنس صور تغير المعنى»[18]، وهي أيضا « خرق لقانون اللغة، إنها تتحقق على المستوى الاستبدالي»[19]، ومن هنا فهي عنده تعني الخروج عن قوانين اللغة ومحاولة تغيير مدلولاتها، وذلك يكون بواسطة خاصية الاستبدال.

وبالعودة إلى ما ذكرنا سابقا، فقد أكد **كوهن** «وجود معنى خاص للاستعارة تقوم فيه المشابهة بدور فعال في نفي الانزياح، وخلق تشاكل دلالي يحفظ للغة تواصلها مع القارئ وانسجامها»[20]، ولعل هذا المعنى يتطابق بدرجة كبيرة مع مفهوم أرسطو للاستعارة القائم على المشابهة، وذلك ما جعل كوهن يعتبر مفهوم الاستعارة «يتقلص تارة إلى صور بلاغية خاصة من الصور البيانية التي تقوم على المشابهة، ويمتد تارة أخرى ليشمل صور المجاز أو محسنات الدلالة»[21]، وبهذا فهي تتمايز عن الصور البلاغية والمجازية الأخرى.

وقد أشار **كوهن** إلى التحليل البنيويلها، إذ يتم فيها تحليل «المدلول إلى سمات دلالية تماثل تقسيم الدال إلى سمات تمييزية»[22]، مقدما مجموعة من الأمثلة للتحليل منها مدلول كلمة "ثعلب" التي تحلل إلى: حيوان+محتال، فالسمة الثانية " محتال" هي التي يمكن اعتبارها استعارة[23].

وانطلاقا من هذا المعطى، حدد **كوهن** الوظيفة الشعرية للاستعارة وهي «الايحاء والتعبير عن العواطف، وتحقيق المشابهة الذاتية بين طرفيها»[24]خاصة في الخطاب الشعري، ولعل هذا ما يؤكده في قوله: «الاستعارة الشعرية هي انتقال من اللغة ذات اللغة المطابقة إلى اللغة الإيحائية، انتقال يتحقق بفضل استدارة كلام معين يفقد معناه على مستوى اللغة الأولى، لأجل العثور عليه في المستوى الثاني»[25].

وعليه يمكننا القول: إن الاستعارة عند **جان كوهن** تدخل ضمن الشعرية البنيوية، القائمة على نظرية الانزياح التي تفسر كيفية اشتغال الاستعارة على محوري التركيب والاستبدال، إذ هي انزياح استبدالي ومكملة لجميع الصور الأخرى، وظيفتها الإيحاء والتعبير عن الأحاسيس.

3ـ الاستعارة في المقاربة التداولية الحجاجية:

3ـ1ـ الاستعارة عند جون سيرل:(الرؤية التداولية)

اهتمت التداولية بدراسة الاستعارة من حيث هي أداة لغوية غايتها تحقيق التواصل بين بني البشر، وهي أيضا نشاط لغوي يخضع لظروف أثناء إنتاج الخطاب، ومن هنا فهي ملمح تداولي لا تخضع لآلية النسق فقط بل تحكمها شروط تداولية متعلقة بالمتكلم والسامع، ولعل من أهم من تحدث عن هذا **جون سيرل**، إذ عرض في كتابه " المعنى والتعبير" قضية الاستعارة وعلاقتها بمقصدية المتكلم، إذ عدها آلية تداولية وهي جزء من مشكلة لغوية عامة هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم والجملة، أو بعبارة أخرى، كيف تقول شيئا وتعني به شيئا آخر؟[26].

ويتضح من خلال هذا موقف **سيرل** من الاستعارة باعتبارها آلية تداولية تتداخل فيها العديد من الشروط منها مقصدية المتكلم والسياق الخارجي، إذ هي عنده لا ترتبط في المعنى المتضمن في الجملة، بل أساسها قصدية المتكلم والظروف المحيطة به،«فالطبيعة الاستعارية للملفوظ ما تعود إلى مقصدية المؤلف واختياره، وليس إلى أسباب داخلية للبنية الموسوعية»[27].

وإذا كان **جون سيرل** قد تحدث عن الاستعارة واعتبرها ترتبط بمقصدية المتكلم، فإنه قد قسم المنطوق الاستعاري إلى ثلاثة أنواع هي كالآتي[28]:

ـــ **المنطوق الاستعاري البسيط**: ويقوم على الاستبدال، أي استبدال كلمة بكلمة أخر، هذه الكلمة الثانية تكون مضمرة وتمثل المقصود المجازي (قصد المتكلم).

ـــ **المنطوق الاستعاري غير المحدد**: وهذا النوع يتسم بالاتساع، إذ إن المنطوق الاستعاري فيه لا يتحدد فيه المضمر في كلمة واحدة، بل يتجاوزه إلى دلالات مجازية متعددة.

ـــ **الاستعارة الميتة**: وفي هذا النوع يتم إهمال المعنى الأصلي للملفوظ ويكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ.

وعليه، فإن الاستعارة بهذه الأنماط والأنواع عند **سيرل** قد حصرت « في المستوى العادي للغة، وعدم التفاته إلى الطابع الابتكاري لها»[29]، مما يظهر تداوليتها وتعلقها بالمستوى الاستعمالي للغة، بحيث إنها مرتبطة« بأفعال الكلام غير المباشر،...نحو: المضمر والمفهوم، والاقتضاء والتلميح»[30]، أي إنها فعل كلامي غير مباشر خارج عن نطاق اللغة، ويتعلق بكل ما هو خفي ومستعار.

وإذا سلمنا مع **سيرل** أن الاستعارة فعل كلامي له علاقة بالمضمر والخفي، وتتعلق بمقصدية المتكلموتوجه إلى مستمع، فإن هذا لن يتم إلا بشروط تحددها «قواعد المحادثة التي تشكل قاعدة مشتركة

بين المتكلم والمستمع»[31]، حيث إنها تقتضي وجود طرفين من أجل التواصل، وذلك وفق سياق محدد، مع تقاسم المعرفة بمجموعة من الاستراتيجيات التي تسمح لهما بالتفاهم بينهما، وإدراك كل المقاصد.

إذن، فالاستعارة عند **سيرل** عملية تستدعي وجود طرفين من أجل التواصل، هما المتكلم والمستمع، فالمتكلم يقوم بإصدار كلاما مجازيا غير مقصود في ذاته، بينما المستمع يحاول فهم هذا القول، كما أن هذا المعنى المجازي هو الذي يقصده المتكلم عند التلفظ، ولذلك فالاستعارة عند سيرل تندرج ضمن أفعال الكلام غير المباشرة، كل هذا لن يتم إلا وفق مبادئ واستراتيجيات تجعل كلا الطرفين يحققان عملية التواصل والفهم.

3ـ2ـ الاستعارة عند شايم بيرلمان (المقاربة الحجاجية):

تعد الاستعارة آلية لغوية وتداولية، تتجسد في العديد من البنى التركيبية، ويستدعي تأويلها معرفة العالم والاطلاع على اعتقادات الذات المتكلمة، والمستمع المثالي، ومن هنا تصبح ذات فاعلية حجاجية من خلال التأثير في الآخرين وتغيير مواقفهم، كل هذا تجسد مع مقاربة **شايم بيرلمان** الحجاجية، إذ إنه «من البلاغيين الجدد الذين أعادوا للإمبراطورية البلاغية شساعتها بعدما فقدت جل أجزائها واختزلت في المحسنات، واقتصرت وظيفتها على الزخرف والتزيين»[32].

وعليه، فإن بلاغة "**بيرلمان**" تعد بلاغة جديدة مخالفة لما جاء في البلاغات السابقة، خاصة في موضوع الاستعارة، حيث إنه يرفض أن ينظر إليها بوصفها تغيرا لدلالة كلمة أو استبدال كلمة بأخرى، بل هي في تصوره ذات قدرة حجاجية واكتشافية كبيرة[33]، ومن هنا فإن مفهوم الاستعارة عند بيرلمان تحمل مفاهيم جديدة بعيدة كل البعد عما ركز عليه البلاغيون القدامى وحتى اللسانيون مما ذكرنا في ثنايا البحث.

ومما يؤكد الفكرة السابقة قوله:«إن أي تصور للاستعارة لايلقي الضوء على أهميتها في الحجاج لايمكن أن يحظى بقبولنا، إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي،...إننا لا نستطيع في هذه اللحظة وصف الاستعارة إلا بتصورها، على الأقل من وجهة نظر حجاجية، باعتبارها تناسبا مكثفا ناتجا عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له»[34].

وارتكازا على هذا القول ننتهي بالقول، إن الاستعارة عند **شايم بيرلمان** لها وظيفة حجاجية إقناعية، يسعى فيها القائل إلى التأثير في الآخرين وذلك عن طريق اختيار تعابير استعارية مناسبة لدحض فكرته، وقد قسم بيرلمان في بلاغته الجديدة الحجج إلى أربعة أنماط هي[35]:

ـــ الحجج شبه المنطقية.

ــ الحجج القائمة على بنينة الواقع.

ــ الحجج المبنينة للواقع.

ــ الحجج القائمة على فرز المفاهيم.

ولعل النوع الثالث من الحجج هو «الأخطر من بين كل الأنماط الحجاجية، إذ إنها تتفادى تصيد الترابط الواقعي بين الأشياء، وتتخطى ذلك بابتكار واقع جديد على أنقاض الواقع القائم»[36]، فالاستعارة من خلال هذا القول تظهر بأنها من الحجج المبنينة للواقع.

كما يظهر من خلال ما ذكرنا سابقا أن **بيرلمان** في حديثه عن الاستعارة قد استمد تعريفه من أرسطو، خاصة في النوع الرابع المذكور سابقا، هذا النوع الذي يتم فيه النقل عن طريق التناسب إذ يقول:« لن أهتم إلا بالاستعارات التي هي في تعريف أرسطو قائمة على التناسب، والتي هي في الواقع مجرد تناسبات مكثفة»[37]، ومن هنا فالاستعارة عند **بيرلمان** هي ما قامت على التناسب والتقارب بين الطرفين.

وعليه، نقول إن الاستعارة في مقاربة **بيرلمان** حملت معاني جديدة قائمة على المنطق والحجاج، إذ هي تصنف ضمن الحجج المبنينة للواقع، وتهدف إلى الإقناع، وبالتالي فوظيفتها استكشافية ومعرفية وحجاجية لا زخرفية تزينية جمالية، ومن هذه الرؤية الجديدة بدأت تظهر في الساحة الألسنية آراء جديد تحاول النظر إلى الاستعارة نظرة فوقية متعالية واتضحت معالمها مع التيار الألسني العرفاني التصوري.

4ــ المقاربة العرفانية للاستعارة:

ظهرت في الآونة الأخيرة أفكار جديدة تعنى بالاستعارة، إذ لم تعد مرتبطة باللغة وآلياتها (الاستبدالية، البنوية، التداولية، الحجاجية)، بل أصبحت ترتبط بالنسق التصوري للإنسان[38]، وقد تجسدت هذه الفكرة مع النظرية الألسنية العرفانية (**جورج لايكوفـ مارك جونسون**) في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها"، بحيث اعتبر هذان الباحثان الاستعارة جزءا لا يتجزأ من البنية التصورية للإنسان، وهي آلية في التفكير البشري.

وبناء على هذا، فإن الاستعارة عند كل من **لايكوف وجونسون** «لاترتبط باللغة أوبالألفاظ بل على عكس ذلك، فسيرورات الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها، وهذا ما نعنيه حين نقول: إن النسق التصوري البشري مبنين ومحدد استعاريا، فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأن هناك استعارات في النسق التصوري لكل منا»[39]، إذ هي تسري في حياتنا اليومية وفي مختلف المجالات.

وعلى هذا الأساس فإن الاستعارة « لم تعد ظاهرة لغوية ناتجة عن استبدال، أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية، أي إنها في جوهرها ذات طبيعة تصورية لا لسانية»[40]، فالذهن له دور أساس في إدراك ما حولنا وهو عامل مهم في تنظيم تصورات الإنسان، والاستعارة بهذا المعنى يمكن اعتبارها عملية تصورية عقلية ذهنية ثم عملية لغوية تعتمد على ما يتلفظ به الإنسان، ويتجلى هذا المعنى أيضا في مقولة العرفانيين المشهورة: «إن الاستعارات التصورية طريقة في التفكير، وأن التعابير الاستعارية طريقة في الكلام»[41].

ومن هنا تتجلى لنا أهم الأسس والمنطلقات التي قامت عليها الرؤية الاستعارية عند العرفانيين:[42]

ـ الاستعارة ذات طبيعة تصورية، وما الاستعارة اللغوية إلا تجل من تجلياتها.

ـ إن نظامنا التصوري قائم في جزء كبير على أسس استعارية.

ـ إن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، وممارستنا التجريبية.

ـ إن وظيفة الاستعارة هي تمكيننا من تمثيل فصل للمفاهيم المجردة وليس فقط لغايات جمالية فنية.

وبناء على هذه الأسس والمنطلقات يمكن القول: إن الاستعارة العرفانية لم تعد تلك الظاهرة اللغوية التي يقولها الأدباء والشعراء لغاية فنية جمالية، بل أصبحت ذات طبيعة تصورية ذهنية يشترك فيها جميع البشر.

وقد صنف الباحثان(**جورج لايكوف ومارك جونسون**) الاستعارات إلى ثلاثة أصناف هي كالآتي:

ـــ **الاستعارة البنيوية**: و هذا النوع من الاستعارات يتم فيه « بنينة تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر»[43]، حيث إنها تبنين سلوكاتنا و تصرفاتنا اليومية، وقد قدم الباحثان مثالا عنها يتجلى في قولنا "الزمن مال"، إذ إنه في ثقافتنا يتجلى «التصور الاستعاري الزمن مال بطرق مختلفة: في التسعيرات التلفونية، وأجور الساعات، وتسديد الدين الذي ندين به لمؤسسة ما فنأخذ وقتنا الكافي»[44]، فكل هذه الممارسات تبنين بشكل عميق سلوكاتنا اليومية الأساسية، أي إننا في هذه الاستعارات نستعير ونستقي مجالا معينا لفهم مجال آخر، ففي هذا المثال مثلا فهمنا مجال المال بمجال الزمن.

الاستعارة الاتجاهية: هذا النوع من الاستعارات لا يقوم على أساس البنينة بحيث «لا يبنين فيه تصور ما عن طريق تصور آخر، ولكنه على عكس ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة»[45]، بحيث حاول الباحثان ربط هذا النوع من الاستعارات « بما يقابلها في تجربتنا الفيزيائية والثقافية، حيث تشترك التقابلات الفيزيائية (تحت، فوق، داخل، خارج...) في كونها ذات طبيعة فيزيائية موحدة، إلا أن

الاستعارات الاتجاهية التي تنبني عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى»[46]، ومن الأمثلة المقدمة في هذا النوع (السعادة فوق، الشقاء تحت....).

الاستعارة الانطولوجية: ويتجلى هذا النوع « حين نتمكن من تعيين تجاربنا باعتبارها كيانات أو مواد، فإنه يصبح بوسعنا الإحالة عليها ومقولتها وتجميعها وتكميمها، وبهذا نعتبرها أشياء تنتمي إلى منطقنا»[47]، أي إن كل ما يرتبط بحياتنا من أفكار وأحداث يعتبر كيانات ومواد، ومن أمثلة هذا النوع قولنا التضخم كيان، التضخم يخفض مستوى معيشتنا، يجب محاربة التضخم، فـ«في جميع هذه الحالات يسمح لنا اعتبار التضخم كيانا بالإحالة عليه، وبتكميمه، وبأن نعين منه جزءا خاصا، وبأن نرى فيه سببا، وأن نتصرف بحيطة إزائه، وربما نعتقد أننا نفهمه، فاستعارات أنطولوجية كهاته ضرورية في محاولتنا تقديم تحليل عقلاني لتجاربنا»[48]

إذن، فمن خلال تأملنا لأنواع الاستعارة السابقة يمكن القول: إن الاستعارة عند كل من **لايكوف وجونسون** عبارة عن آلية ذهنية، تحاول أن تبنين تصورا من خلال تصور آخر، وبالتالي رغم تعدد أنواعها إلا أن الأساس فيها هو البنية والكيان والمادة، فالاستعارة ميدانها تحتي كمي، ويتجسد باللغة، والمتحكم في تنظيمها تجاربنا الجسدية، ومنظوماتنا الثقافية في المجتمع الذي نعيش فيه، إذ بها نبني جزءا من تصوراتنا، ونفهم تجارب عديدة عبر عملية الإسقاط.

الخاتمة:

وفي الختام، يمكن أن نقف على جملة من المقولات والنتائج التي رافقت المسارات والتحولات التي عرفتها الاستعارة نجملها على النحو الآتي:

ـ رافقت الاستعارة مختلف الانعطافات التي شهدها الدرس البلاغي والألسني بدءا من التفكير البلاغي الأرسطي مرورا بالأنموذج الألسني البنوي وصولا إلى التيار اللساني العرفاني.

ـ إن الاستعارة في التفكير البلاغي الغربي القديم تعكس لنا رؤية أرسطو التفاعلية والتي جمع فيها بين البعد العقلاني الإقناعي، والبعد الجمالي الإمتاعي.

ـ إن مفاهيم الاستعارة ومقولاتها تطورت بتطور الدرس اللغوي، وكل تغير وحدث ألسني جديد أثر في تجديد مقولات الاستعارة.

ـ ارتبطت مفاهيم الاستعارة في ظل الأنموذج الألسني البنوي بالمبادئ التي أفرزها دو سوسير في نظريته الألسنية القائمة على النسقية وبنية اللغة الداخلية.

ـ بناء على التطور الذي شهده الدرس الألسني الحديث والمعاصر تحولت الاستعارة من النسقية إلى السياقية ثم التجريبية، وتحولت وظيفتها من الزخرفة والتزيين في الخطاب الأدبي إلى اعتبارها آلية معرفية وحجاجية تستخدم في جميع الخطابات.

ـ إن الاستعارة في ضوء التصور العرفاني أصبحت آلية ذهنية ترتبط بالنسق التصوري للإنسان.

هوامش:

[1] ـ ينظر:عبد العزيز حويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م، ص9.

[2] ـ أرسطو، فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د/ط، د/ت، ص 186.

[3] ـ المصدر نفسه، ص186. 187.

[4] ـ ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، ط1، 2001م، ص 133. 134.

[5] ـ مسعود بودوخة، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م، ص1.

[6] ـ أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد للنشر، العراق، ط1، 1980م، ص 200.

[7] ـ ينظر: السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 2008م، ص 56.

[8] ـ المرجع نفسه، ص57.

[9] ـ عبد العزيز حويدق، المرجع السابق، ص81.

[10] ـ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص170.

[11] ـ المرجع نفسه، ص170.

[12] ـ ينظر: عبد العزيز حويدق، المرجع السابق، ص93.

[13] ـ جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي والعمري محمد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م، ص170

[14] ـ جان كوهن، المرجع السابق، ص 6.

[15] ـ اسكندر يوسف، اتجاهات الشعرية الحديثة الأصول والمقولات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 131.

[16] ـ المرجع نفسه، ص131.

[17] ـ ينظر: عبد العزيز حويدق، نظريات الاستعارة، ص134.

[18] ـ جان كوهن، المرجع السابق، ص 109.

[19]ـ المرجع نفسه، ص109.

[20]ـ عبد العزيز حويدق، المرجع السابق، ص135

[21]ـ المرجع نفسه، ص135.

[22]ـ المرجع نفسه، ص138.

[23]ـ ينظر : جان كوهن، المرجع السابق، ص 121ـ122.

[24]ـ عبد العزيز حويدق، المرجع السابق، ص144.

[25]ـ جان كوهن، المرجع السابق، ص206.

[26] ـvoir : Jaen Searle , Sens et expression, Les edition de minuit, Paris, 1979, p 122.

[27]ـ أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط، 2000م، ص159.

[28]ـ ينظر: عيد بلبع، "الرؤية التداولية للاستعارة"، مجلة علامات، العدد23، مكناس، 2005م.

[29]ـ سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص 84.

[30]. عبد العزيز حويدق، المرجع السابق، ص202ـ203.

[31]ـ المرجع نفسه، ص210.

[32]ـ عبد العزيز حويدق، المرجع السابق، ص227.

[33]ـ ينظر: المرجع نفسه، ص240.

[34]ـ نقلا عن : محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005م، ص459.

[35]ـ ينظر: محمد الولي، المرجع السابق، ص453.

[36] ـ المرجع نفسه، ص454.

[37]- Chaim Perlman, L'empire rhétorique, Rhétorique et argumentation, Paris, Vrin,1977, P389.

[38]ـ ينظر: عبد العزيز حويدق، المرجع السابق، ص255.

[39]ـ جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م، ص23.

[40]ـ عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص56.

[41]ـ محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس،ط1، 2009م، ص126.

[42]ـ ينظر: المرجع نفسه، ص124.

[43]ـ جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص33.

[44]ـ المرجع نفسه، ص26.

[45]ـ المرجع نفسه، ص 33.

[46]ـ المرجع نفسه، ص33.

[47]ـ المرجع نفسه، ص45.

[48]ـ المرجع نفسه، ص46